

# التوجه إلى الله والانقطاع إليه

ثم قال الكاتب: [الصوفي: هو من عرف أن التوجه إلى الله والانقطاع إليه مما ينيل القصد، وبهيئة النفس للملكية.. إلخ].  
أقول: قد ذكرنا أول الكلام تعريف الصوفية في أول الأمر، ثم ما آل إليه أمرهم وما دخل عليهم من البدع، ثم الطرق التي أوقعت الكثير منهم في الخروج عن الإسلام: كالحلول، والاتحاد، فأما التوجه إلى الله والانقطاع إليه فهو صفة شريفة عَلَيْهِ متنى قصد منها الإقبال على العبادات، والتفرغ لها، والإعراض عن كل ما يشغل عن الطاعة، ويعوق عن مواصلة السير إلى الله. وهذه طريقة أهل الرهد، والعلم، والعبادة من الصوفية السلفيين، ومن غير الصوفية، ولم يزل في المسلمين قديماً وحديثاً خلق كثير وجمع غفير يشتغلون جُلّ وقتهم بالعبادة القلبية الروحية، ويتوجهون إلى ربهم بقلوبهم، ويعملون عليه أمالهم، وينقطعون إليه وحده، ويعرضون عما سواه، ولا ينافي ذلك إعطاء النفوس حظها من راحة، ولذة مباحة: من مأكل، ومشرب، ومنكح، ومليس، وكذا الاستغلال بالكسب الحلال، وجمع المال الذي تمسّى إليه الحاجة من وجوهه الجائزة، كما أمر الله بذلك في قوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاتَّشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ قَصْلِ اللَّهِ} . وكما في قوله تعالى: {وَآخَرُونَ يَصْرُبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ قَصْلِ اللَّهِ} . وإذا كان الأنبياء والرسول يتمسون الرزق ويطلبون المال من وجوهه، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَمْسُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} . فكيف بأتياهم ومن هو دونهم؟ فإن أراد الكاتب بالانقطاع إلى الله، ترك الدنيا وما فيها، والزهد في المباحثات، والرهبة، وترك كل الملذات ومشتهيات النفس التي تتقوى بها على الطاعات، فهذا الوصف والقصد غير صحيح، بل هو خلاف سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائل الرسل وأتباعهم. فأما قول الكاتب: [وبهيئة النفس للملكية].. إلخ. فهو خطأ من القول، فإن أراد بالملكية الصعود بالنفس إلى مقام الملائكة، واتصافها بالروحية والنورانية، والاتصال بالملائكة الأعلى ونحو ذلك، فلا يصح، فإن نفس الإنسان لا تصل إلى صفات الملائكة التي من خصائصها: العلو، والخفة، والنور، والمكاففات، والاستغناء عن الدنيا، والانكفاء عن الشهوات ونحوها، فإن الله ركب في طباع البشر من الشهوة، والالتزام بالمطعم والمشرب، والميل إلى ذلك، والنالم بفقد ما لم يكن من صفات الملائكة. أما إن أراد بالملكية التملك وأن النفس تتهيأ لأن تملك شيئاً من أمر الكون أو تدبّره، أو تتصرف فيه تصرف المالك، فهذا أيضاً لا يصح، فالنفس البشرية، وسائل النفوس المخلوقة ليس لها من الأمر شيء، ولا تقدر على التصرف المستقبل، ولا الملكية التامة النافذة، بل إن المخلوق نفسه مملوك لربه، ولو ملك الدنيا بأسرها، فملكه مؤقت وناقص، وهو وما بيده ملك لربه، فكيف يقال: إن انقطاع الصوفي ينيله القصد وبهيئة نفسه للملكية.